مفدي زكريا بين الالتزام الثوري ودواعي الفن

Mufdi Zakaria between the revolutionary commitment and the reasons for art

تاريخ الاستلام : 2022/08/12 ؛ تاريخ القبول : 2022/12/26

* إبراهيم كربوش

جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر)،

ملخص

لا شك أن مفدي زكريا شاعر الثورة دون منازع، عاش أحداثها واكتوى بلهيب نارها، إذ فقد أعز ما يملك الإنسان في هذه الحياة. لقد اغتصبت منه حريته. لقد حاول الاستعمار طمس هويته، والقضاء على شخصيته، ومحو تاريخه، وفصله عن جذوره التي ينتمي إليها. هذه العوامل مجتمعة، جعلت منه إنسانا ثائرا، يحمل أعباء قضيته، فنازعته مشاعر الثورة من جهة، ودواعي الفن من جهة أخرى، فهو إنسان وشاعر في الوقت نفسه. هدفنا في هذه الورقة البحثية، هو الوقوف على مفهوم الالتزام عنده، وطبيعته، وما علاقة الشاعر بالثورة؟. وهل تحقق الانسجام بين الالتزام الثوري، ومدى استجابة شاعريته له؟ . وما مدى تحقق هذا الانسجام؟. وماهي تجلياته؟.

الكلمات المفتاحية: التزام ؛ ثورة ؛ شعر ؛ وطن ؛ عقيدة.

Abstract

Il ne fait aucun doute que Mufdi Zakaria, le poète incontesté de la révolution, a vécu ses événements et a été piqué par les flammes de son feu, car il a perdu la chose la plus précieuse qu'une personne possède dans cette vie. Vous lui avez enlevé sa liberté. Le colonialisme a tenté d'effacer son identité, d'éradiquer sa personnalité, d'effacer son histoire et de le séparer de ses racines auxquelles il appartient. Ensemble, ces facteurs ont fait de lui une personne rebelle, Il porte les fardeaux de sa cause, les sentiments de la révolution le disputent d'un côté, les motifs de l'art de l'autre, car il est à la fois homme et poète. Notre objectif dans ce mémoire de recherche est d'identifier sa conception de l'engagement, sa nature, et quel est le rapport du poète à la révolution ? L'harmonie a-t-elle été atteinte entre l'engagement révolutionnaire et l'étendue de sa réponse poétique à celui-ci ? . Dans quelle mesure cette harmonie est-elle atteinte ? Quelles sont ses manifestations ?

Keywords: engagement ; Révolution ; Poésie ; patrie ; croyance.

Résumé

There is no doubt that Mufdi Zakaria, the undisputed poet of the revolution, lived its events and was stung by the flames of its fire, as he lost the most precious thing that a person possesses in this life. You have taken away his freedom. Colonialism tried to obliterate his identity, eradicate his personality, erase his history, and separate him from his roots to which he belongs. Together, these factors made him a rebellious person, carrying the burdens of his cause. The feelings of the revolution on the one hand, and the motives of art on the other hand disputed him, as he is a human and a poet at the same time. Our goal in this research paper is to identify his concept of commitment, its nature, and what is the poet's relationship to the revolution? Was harmony achieved between the revolutionary commitment, and the extent of his poetic response to it? . To what extent is this harmony achieved? What are its manifestations?

Mots clés: commitment ; Revolution ; Poetry ; homeland ; faith.

* Corresponding author, e-mail: brahim.krb33@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2023.

ا - مقدمة

عرف العصر الحديث أزمات كثيرة قلبت الكثير من المفاهيم وهزت القيم، والمبادئ التي كان يظن أنها بعيدة من أن تنال، أو يعبث بها، حروب تركت مآس طعنت بقسوتها كل المعايير الإنسانية، وتطلعات الشعوب نحو حياة أفضل، ملؤها الاستقرار والأمن والحرية. وصراعات أيديولوجية وفكرية، لم تراع أدنى شروط التعايش أو قبول الآخر بوجه من الوجوه، فراحت تضبط حركة الحياة وفق رؤيتها مسخرة في ذلك أساليب القمع والإبادة. فكان لزاما أن تراجع الكثير المواقف، وأن تعاد الأمور إلى نصابها، وأن تستعيد الشعوب قيمها الإنسانية التي كادت أن تضيع. وكان على الأدب خاصة أن يتقلد دوره في الدفاع عن الإنسان وقضاياه.

الالتزام في اللغة: لزم الشيء لزوما: ثبت ودام. التزم الشيء، أو الأمر: أوجبه على نفسه (مجمع اللغة العربية، 2004، ص823). ورجل لُزَمَةٌ، يلزم الشيء فلا يفارقه (ابن منظور، 1999، ص272/12).

وفي الاصطلاح: هو حزم الأمر على الوقوف إلى جانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير خارجيا عن هذا الموقف، بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار. وتكون هذه الآثار محصلا لمعاناة صاحبها، ولإحساسه العميق بواجب الكفاح، ولمشاركته الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام (جبور، 1984،ص32). وفيه من قال أنه مصطلح أدبي فني يدعو إلى الوجوب بإحساس الأدباء والفنانين بالمسؤولية أمام مجتمعهم ووطنهم، وهم يرفضون جعل الأدب تسلية يرسل بحرية، ويرون أن الأديب الملتزم هو المقدر لمسؤوليته نحو وطنه وأمته (التونجي، 1999، ص123). ونشأت قضية الالتزام في الأدب في العشرينيات من القرن الماضي عند قيام الدولة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي، ذلك أن أقطاب الشيوعية أدركوا أثر الفنون بعامة، والأدب بخاصة في بناء المجتمعات، وتكوين العقول، وصياغة الوجدانات، ووعوا أثرها دعم الأنظمة والمذاهب، حتى قال ستالين: الفنانون والأدباء مهندسو البشرية (رأفت، 2004، ص150). ولم يهتم بهذه القضية الشيوعيون فحسب، بل وجدت اهتماما كبيرا من طرف الوجوديين أمثال جان أنوي، وسارتر، وجيرودو، الذين رأوا أن القلم لا يقل فعالية عن البندقية، وأن الأديب لابد وأن يساهم في حركة التحرر بقلمه...وأن يلتزم الدفاع عن قضية الحرية في بلاده متخذا له الحرف سلاحا قويا (مصايف، 1979، ص236). فالالتزام عندهم ينطلق من قناعة واختيار من طرف الأديب، بعيدا عن كل إكراه، وهذا عكس ما نجده في الواقعية الاشتراكية التي تدفعه دفعا إلى سلوك هذا الاتجاه، أو يعد خائنا لوطنه. ويرى الوجوديون كذلك أن الالتزام يكون في النثر لا في الشعر، لاختلاف أهدافهما، فالهدف من النثر الفائدة، بينما الشعر لا فائدة له، ذلك لأنه ترويح عن النفس، وتخفيف عما يعتمل فيها (رأفت، 2004، ص153). لهذا كان الالتزام قضية رئيسة في النقد الحديث عند النقاد العرب، وهو مصطلح طرح نفسه بقوة وإلحاح، واستقطب رؤوسا من المفكرين والنقاد عكفوا على تأصيله والتعمق فيه، ودعوا الأدباء والشعراء الالتزام بقضايا الإنسان والدفاع عنها. وقد عرفت أغلب الدول العربية الاستعمار الذي سلبها

حريتها، وأمعن في إذلالها وقهرها، فحري بالأديب أن يدافع عن حرية شعبه، فالالتزام يعني نشدان التحرر والسعي إلى تحقيقه. وقد أكد محمد مصايف هذه القضية، وفصل فيها، وبين أبعادها، وأسبابها قائلا: لا أعرف قضية نالت من النقاش والبحث مثل ما نالت قضية الالتزام، وهذا للمكانة الخاصة التي تحتلها بين القضايا الأدبية المعاصرة، وفي البحوث والمقالات السياسية والاجتماعية. وأكثر ما تثار قضية الالتزام عندما تضطرب الأفكار، وتتضارب النزعات، ويجد المجتمع نفسه في مرحلة انتقالية حساسة من حياته...ومهما كان الأمر فإن بلادنا في أمس الحاجة إلى مجهودات وإخلاص جميع أبنائها، وبخاصة إلى مجهودات هؤلاء الذين يتمتعون بثقافة عالية، ويمتلكون وعيا حادا بالقضايا الوطنية، وإحساسا عميقا بحاجيات الوطن والمواطنين. وليس بمعقول مطلقا أن يضل هؤلاء بمعزل عما يعتمل في بلادهم من ثورات، بل من المنتظر أن يتحملوا مسؤولياتهم بكل شجاعة في هذه الثورات، ويغذوا مسيرتها بأفكارهم المدروسة الناضجة، وأن يوجهوها وجهة تتناسب والاتجاه العقائدي العام الذي تعتنقه بلادنا، وتعمل من جراء تأصيله في سياستنا الوطنية (مصايف، 1981، ص51). ويمكن أن يقال أنها رسالة شاقة، وأنها تتطلب من الأديب، إيمانا صادقا بالقضايا التي يعالجها، وروحا مثالية، وشجاعة أدبية في اتخاذ المواقف، وفي الدفاع عنها، وعمقا في التفكير، يمكنه من مواجهة المشاكل، والقضايا بنجاح وقوة (مصايف، 1981، ص51). إن الإيمان الناتج عن هذا الاتصال بمشاكل المجتمع هو الذي يضفي على كتابة الأديب حرارة ضرورية للأعمال الأدبية الناجحة. وليس من شرط الكاتب أن يكون ماركسيا، ليؤمن بحق الضعفاء في الحياة الكريمة، بل يكفيه أن يكون إنساني القلب والعاطفة والعقل، فإن هذه الإنسانية هي التي تجعله يحس بما يحس به الآخرون، ويتألم لما يتألمون، ويتمنى لهم ما يتمناه لنفسه وذويه من حياة كريمة...فتعود الكتابة بالنسبة إليه شيئا تمليه العقيدة بقدر ما تفرضه حياة المواطنين (مصايف، 1981، ص53). وبذلك يصبح الفن في خدمة الإنسان، وقضاياه المصيرية، ينافح عنها، ويسعى بكد في تحقيقها.

ومع اعتقادنا أن فلسفة الالتزام نتاج عصرنا الحديث، ومع هذا المصطلح الذي يتميز بالحداثة، فهو يرتبط إذا في الوقت نفسه بتغير النظرة نحو مفهوم الأدب والحياة، والعلاقة بينه وبين الحياة كما قال كلوريدج: الأدب نقد للحياة. فإن الفنان والأديب في معاناته لتجربته وإدراكه لحقائقها إنما يقف على العناصر الجوهرية في معنى الحياة، وفي اكتشاف الخبرات التي تضيف ثراء لخبرتنا (عيد، 1988، ص7). ومعنى هذا أن الأديب يعبر عن انفعاله، وأن هذا الانفعال تابع لتصوراته عن الأمور، وعن الأشياء والتصورات- للكون من حوله وللأشياء مرتبطة بتكوينه الثقافي، وما بنى عليه بناء يجعله ملتزما بهذه التصورات، ومعبرا دون تكلف عن هذه الأفكار التي استقرت في وجدانه، ومن هنا يكون مضمون الالتزام في الأفكار التي استقرت في وجدان الأديب، وملكت مشاعره، وفي تصوراته المرتبطة بهذه الأفكار تصوراته عن الكون، وعن الحياة، وعن الناس، والعلاقات الاجتماعية، تصوراته عن النفس الإنسانية، وعما يصيبها من آمال وآلام، وأفراح وأحزان. ولما كان الناس مختلفين في هذه الأفكار، وفي هذه التصورات وجدنا ما يلتزم به مختلفان فمضمون الالتزام عند قوم ليس هو عند آخرين (سعيد، 1987، ص7). فالالتزام يتشكل من ذلك كله، وهذا يعطيه طابعا خاصا، ومفهوما يتجاوب مع تلك المنطلقات، إذن فهو قضية تتصل بالخلفيات الثقافية العقائدية، والفكرية والتصورات التي تشكل وعي الفنان بصفة عامة حول القضية التي هيأ نفسه للدفاع عنها.

II - مفدي زكريا والالتزام: وانطلاقا مما ذكرنا آنفا، بإمكاننا أن نقول أين مفدي زكريا من كل هذا؟. أو بمعنى آخر هل كان ملتزما؟. وما طبيعة التزامه؟.

في الحقيقة والتي لا مراء فيها أن الشاعر حقق معنى الالتزام في أبعد مستوياته، فالالتزام قبل كل شيء اختيار شخصي، دونما ضغط خارجي، فالأديب الملتزم يختار موضوعه وطريقة تعبيره بحرية كاملة، لأنهما يوافقان مذهبه في الحياة، ويلبيان نزعة عميقة في نفسه(مصايف، 1981، ص194). ومسيرة الرجل تشهد بذلك، فمفهوم الالتزام عنده تؤطره الفكرة الدينية التي نراها حاضرة في جل مواقفه، وهذا راجع إلى تمكن الدين من قلب الرجل، وإخلاصه له وتمسكه بالأخلاق الفاضلة، فالإسلام عقيدة وعمل. وهي ثقافة جيله التي طبعها الدين بطابعه، بدأت بحفظ القرآن الكريم، وما يتصل به من علوم في مسقط رأسه، ثم دراسته بجامع الزيتونة، وقاموسه الشعري ثري جدا بالألفاظ القرآنية التي تعد عنصرا جوهريا وأصيلا، ومكونا بنيويا، يدخل في تشكيل أسلوب الشاعر (زكريا، 1987ن ص89) :

شربت العقيدة حتى الثمالة فأسلمت وجهي لرب الجلاله
ولولا الوفاء لإسلامنا لما قرر الشعب مناله
ولولا استقامة أخلاقنا لما أخلص الشعب يوما نضاله
هو الدين يغمر أرواحنا بنور اليقين ويرسي عداله
إذا الشعب أخلف عهد الإلـ ه وخان الأمانه فارقب زواله

فهو يتحدث عن أحمد زبانا في موقف بطولي نادر، يشبهه بعيسى روح الله وكلمته وموسى كليم الله، وبالروح الأمين جبريل أمين الوحي، وبمحمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء والرسل، فهو يستحضر شخصيات دينية بارزة تحملت أعباء الرسالة، وتعرضوا لأهوال جمة، لكن قوة الإيمان والصبر والإخلاص، مكنتهم من تبليغ ما أمروا به، والشاعر يفعل ذلك حتى يضفي سموا وقدسية لما يقوم به هذا البطل، فهي رموز دينية تضفي بعدا روحيا، ويغدي المعاني الثورية ويذكي أوارها (زكريا، 2007، ص17):

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا
حالما كالكليم كلمه المجد فشدّ الحبال يبغي الصعودا
وتسامى كالروح في ليلة القد ر، سلاما يشع في ا لكون عيدا

حتى وهو يتحدث عن الزلزال الذي أصاب الأصنام(الشلف حاليا) في العاشر من أكتوبر سنة ثمانين وتسعمائة وألف (1980)، على الساعة الواحدة وخمس وعشرين دقيقة، وبلغت درجته: 7.3 على سلم ريشتر. وكان زلزالا قويا، حيث دمر ثمانين بالمائة (80%) من المدينة، وألحق بها دمارا وخرابا، وكثير من الضحايا(10000) عشرة آلاف ضحية، فعزاه إلى الإثم، وبما كسبت أيديهم، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ

الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت، الآية: 40).: ويقول عز من قائل: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى، الآية: 30) فهو يعبر عن ذلك، مستوحي ألفاظه ومعانيه من القرآن الكريم (الطمار، 1981، ص368):

هو الإثم زلزل زلزالها فزلزلت الأرض زلزالها

وحملها الناس أثقالهم فأخرجت الأرض أثقالها

وفي حديثه عن فلسطين، أمّ القضايا العربية الإسلامية، القضية التي شغلت المسلمين وغير المسلمين، ويدعوهم إلى الوحدة، والتمسك بحبلها، فالذئب يأكل من الغنم، القاسية كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم. ويحث على استرجاعها من أيدي الغاصبين، وهذا يتوقف على درجة إيمانهم وإخلاصهم لربّهم ولقضيتهم العادلة، والنصر آت لا محالة، لقول لله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد، الآية: 7). لهذا نجد الشاعر مطمئنا كل الاطمئنان إلى ما يدعو إليه. فالتناص الديني(قرآنا وسنة)، حاضر في النص الشعري بشكل واضح، ومهارة الشاعر في توظيفها في سياق ثوري، ويعطيه أبعادا دلالية وجمالية كما(زكريا، ص288،287):

محمد قد أبقى لنا عبرة من الذئب والغنم القاصيه

فإن تنصروا الله ينصركم وينجز أمانيكم الغاليه

ولن يخلف الله ميعاده ولا ريب... ساعتنا آتيه

وقد علق محمد ناصر على حضور هذا المصدر (الثقافة الدينية): فقد حددت الثقافة السلفية منذ البداية الإطار الذي كان الشعراء المحافظون يضعون داخله صورهم الشعرية، هذا الإطار الذي لا يخرج عن التراث في مصادره المعروفة، قرآنا كريما، وأحاديث شريفة، وأدبا عربيا قديما، بمفهومه الواسع شعرا، وقصصا، وأمثالا، وتاريخا إسلاميا بعصوره المختلفة القديمة والحديثة(ناصر، 1985، ص470). لا شك أن رجلا متشبعا بمثل هذه الثقافة، إضافة إلى تكوينه السياسي، فقد انخرط في أحزاب سياسية، كحزب نجم شمال إفريقيا، ثم حزب الشعب الجزائري، ثم حركة الانتصار للحريات الديموقراطية، وتبنيه لأفكار جمعية العلماء المسلمين. إضافة للواقع المرير الذي عايشه جراء الاستعمار، فسيجد نفسه حتما منساقا بعفوية وطواعية واقتناع، نحو العمل الثوري، ونشدان الحرية، فالالتزام عند الشاعر هو استجابة طبيعية لتحرير الوطن، والوقوف إلى جانب الشعب المضطهد المحروم من حقوقه المغتصبة، من طرف عدو يخالفنا في الدين والثقافة واللغة. وقد ترجم الشاعر أفكاره، وآماله، وتصوراته ومواقفه، بل نقول صخر فنه، فأبدع قصائد تحمل روحا ثورية قوية، تكاد تنطق بكل هذا، وبكل حدة وشدة. يغذيها إيمان راسخ، رسوخ الجبال الراسيات، لقد ولد الإنسان حرا، وإنه لا يخضع إلا لإرادة خالقه.

III - مفدي زكريا والثورة: آمن الشاعر بقضيته، وأخلص لها في صدق وإخلاص. وضحى من أجلها، واستصغر كل شيء في سبيلها، فقد ذاق عذاب السجن والتعذيب، وعانى آلام التضييق والمراقبة المستمرة. والثورة عند شاعرنا من خلال إبداعاته الشعرية- تعني التغيير والرفض وقوة الإرادة، والتحدي، والخروج من حالة التخلف والضعف، فقد سكنته روح الثورة وتلبس بها، فأصبحت هاجسه، ومتنفسه، وأمله وطموحه، بل عقيدته الراسخة التي أسس تصوره ووعيه عليها. فكان شعره ينطق بكل قوة عن رفضه للاستعمار، والوقوف في وجهه بشجاعة وكبرياء. وهو مستعد للتضحية في سبيلها، وبذل الغالي والنفيس.

فقد عبر عن حبه لوطنه واعتزازه بالثورة، وأنهما المعين الذي يستقي منه المعاني الشعرية القوية الدفاقة، اللتان خلدتا اسمه وشعره، ومنحته عزة وشرفا (زكريا، 1987، ص115):

بلادي وقفت لذكراك شعري فخلد مجدك في الكون ذكري

وألهمتني فصدعت الدنا بإلياذتي في اعتزاز وفخر

وكنت أوقع في الشاهقا ت خطى الثائرين بالحان صدري

فخلد قدس اللهيب بياني وأذكى لهيب الجزائر فكري

ويقول معبرا عن عظمة وجلال الجزائر، وأنها ملهمته، فهي تبدو له أعظم المعجزات، وحجة الله في الكائنات، لأنها قدمت للإنسانية صورا من البطولات النادرة التي تجعل المستحيل ممكنا، ومن الحزن سهلا، لأنها تتغذى من القيم الإنسانية. فصوت مفدي زكريا يجلجل بصخب عنيف، وقوة تدفق مشاعره، تصاحبها نبرة حادة متأججة فائضة بعدها ينسجم الشاعر مع الصور التي يوزعها في ثنايا النص، فهو ينفعل مع الحدث ويتمازج مع القضية حتى يصير جزء منها، أو تصبح هي جزء منه (شارف، 2005، ص108). فهو يترنم بكلمات صاخبة كلها شموخ وأنفة (مفدي، 1987، ص19):

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات

ويا للبطولات تغزو الدنا وتلهمنا القيم الخالدات

وأهوى على قدميها الزمان فأهوى على قدميها الطغاة

ويقول في موضع آخر، يؤكد على أن الجزائر هي المجد في أروع صوره، وهذا بعد استقراء التراث الديني (مفدي، 1987، ص37):

وأرسلت شعري يسوق الخطى بساح الفدا يوم نادى المنادي

أوقفت ركب الزمان طويلا أسائله عن ثمود... وعاد

عن قصة المجد عن عهد نوح وهل إرم هي ذات العماد؟

فأقسم هذا الزمان يمينا وقال الجزائر دون عناد

الملاحظ أن الشاعر لا يفصل بين حبه لوطنه، واعتزازه بالثورة وبطولات شعبها، كل لا يقبل الانفصال، بلد عظيم، شعب عظيم، ثورة عظيمة، معادلة محكمة العناصر، تامة الخلق، بلد أبدعه الله وجعله ينافس جنات الخلد سحرا وجمالا. شعب تشرب من العقيدة، فأخلص في إيمانه، وأعلن ثقته في ربه، فلا يخشى إلا الله. وثورة مباركة ضد الطغيان والظلم، غايتها تحرير الإنسان، وإحياء القيم الإنسانية، ثورة أخرجت الإنسان من ضيق الظلم والاستبداد إلى سعة الحرية والسلام (مفدي، 1987، ص20):

ويا ثورة حار فيها الزمان وفي شعبها الهادئ الثائر

ويقول في جلال وجمال الجزائر، وكيف يربط هذا الأمر بصحة العقيدة (مفدي، 1987، ص21):

فلولا جمالك ما صح ديني وما أن عرفت الطريق لربي

لقد ضرب مفدي زكريا أروع آيات الحب والإخلاص للوطن، فهو جدير بأن يحب، وجدير بأن يدافع عنه، والكل يهون دونه، فكانت أفكاره ثورية إلى أبعد الحدود، فكان شعره صدى لهذه الثورية الهادرة، في الألفاظ والمعاني، والصور، والجرس الموسيقي القوي، والكل يتجاوب مع الروح الثورية التي تسكن الشاعر ويتناغم معها. ويحرص الشاعر على تأكيد أن للحرية ثمن غال، وأن الشعب استرخص كل غال في سبيل حريته، وقد استدعى شخصيات ومعارك من التاريخ الإسلامي، ليؤكد على أنه سلسلة من الأمجاد والبطولات (مفدي، 1987، ص85):

وقالت جزائرنا الغالية هو الصدق حقق أماليه

ومن دم شعبي وأكباده إلى النصر قدمت قربانيه

وجندت من خالد بن الولي د وسعد بن وقاس أبطاليه

وجددت حطين في وطني وخلدت أمجاد أنطاكيه

ولا يخفى علينا أن البعد الديني كما ألمعنا سابقا، حاضرا بشكل بارز في ألفاظه، ومعانيه، وصوره على حد سواء، والشواهد كثيرة وقريبة مبثوثة في دوانينه.

IV - الخاتمة: نستطيع أن نقول أن مفدي زكريا كان ملتزما بالقضية مخلصا لها، في أبعادها المختلفة: بعدها الديني، لأن الإنسان ولد حرا، ويأبي الخضوع إلا لخالقه. وفي بعدها الوطني، لأن الإنسان مجبول على حب الوطن، فهو من الإيمان. وفي البعد السياسي، لأن الإنسان مطالب بدفع الظلم والجور وتكميم الأفواه، ويسعى لأن يكون حرا سيدا في وطنه، وقد كان هذا وإلى أبعد الحدود. وشعره ومواقفة تقف شاهدا على ذلك، أحب بلاده وهام بها، وآمن بالثورة فبذل فيها الغالي والنفيس، وصاغ في كل ذلك شعرا، يفصح عن تلك المعاني والمشاعر والمواقف، بكل قوة وصدق. وقد استطاعت الحياة الأدبية عبر مسيرتها الطويلة، أن تحدد المواقف البطولية لأولئك الأدباء، الذين التزموا بقضايا أممهم، وقدموا في ذلك أعز ما يملكون، وقد ظل نتاج هؤلاء الأدباء يرسم الطموح، ويحدد أمارات الأمل الذي كانت ترسمه أممهم، وبقيت النظرة السامية إليهم، وإلى انتاجهم تحتل المكانة المرموقة (القيسي، 1979، ص13).

ولازال صوت الشاعر مدويا، يحمل صخب مشاعره، وصخب كلماته، التي أعطت الثورة الجزائرية قوة وبعدا إنسانيا، تجاوبت معه الشعوب الحرة، التي تؤمن بالقيم الإنسانية وتنافح عنها. فالتزام مفدي زكريا يختلف عن التزام الذي دعت إلي المذاهب الاشتراكية، لأنه يقف على منطلقات عقدية وفكرية وتاريخية راسخة، ويسعى إلى البحث عن حياة تستجيب لطموحاته وآماله. وخير ما نلخص به هذه الورقة البحثية خطاب الشاعر بمناسبة افتتاح المؤتمر الرابع لمنظمة طلاب شباب إفريقيا الذي انعقد بتونس سنة 1934: لست مسلما ولا مؤمنا ولا عربيا، إذا لم أبذل نفسي ومالي ودمي في سبيل تحرير وطني العزيز من أغلال العبودية، وإخراجه من ظلمات الجهل والفاقة، إلى نور العلم والرفاهية والعيش السعيد(الزبيري، 1995، ص: 36). هذا هو مفدي زكريا الصوت الثوري الهادر الملتزم، الذي لازال يتردد في كل نفس حرة أبية .

- الإحالات والمراجع :

مجمع اللغة العربية، (2004). المعجم الوسيط. مصر: مكتبة الشرق الدولية.

ابن منظور. (1999). لسان العرب. لبنان: دار إحياء التراث العربي.

جبور، عبد النور. (1984). المعجم الأدبي. لبنان: دار العلم للملايين.

التونجي، محمد. (1999). المعجم المفصل في الأدب. لبنان: دار الكتب العلمية.

رأفت، عبد الرحمن. (2004). نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. مصر: دار الأدب الإسلامي.

مصايف، محمد. (1979) . النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.

رأفت، عبد الرحمن. (2004). نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد. مصر: دار الأدب الإسلامي.

مصايف، محمد. (1979 . النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر.

عيد، رجاء. (1988). فلسفة الالتزام في النقد الأدبي. الإسكندرية: منشأة المعارف.

سعيد، محمد رأفت. (1987). الالتزام في التصور الإسلامي للأدب. مصر: دار الهداية للنشر والتوزيع.

مصايف، محمد. (1981). فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

زكريا، مفدي. (2007). اللهب المقدس. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر.

الطمار، محمد. (1981). تاريخ الأدب الجزائري. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

زكريا، مفدي. (2007). اللهب المقدس. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر.

ناصر، محمد. (1985). الشعر الجزائري الحديث. لبنان: دار الغرب الإسلامي.

زكريا، مفدي. (1987). إلياذة الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

شارف، عبد القادر. (2005). القيم الجمالية في شعر الثورة والنضال، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، مج:2، ع: 2، الجزائر. جامعة سطيف2.

زكريا، مفدي. (1987). إلياذة الجزائر. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

القيسي، نوري حموي. (1979). الأديب والالتزام. بغداد: دار الحرية للطباعة، بغداد.

الزبيري العربي. (1995). المثقفون الجزائريون والثورة. الجزائر. المؤسسة الوطنية للاتصال والإشهار.